الحدث الكلاميّ والاتجاه النصي التداولي

Speech act and text pragmatics

أ. ليندة حمودي[1]

أ. د. ذهبيّة حمو الحاج[2]

تاريخ الاستلام: 30 11 2018 تاريخ القبول:23 01 2019

الملخّص: يقارب هذا البحث إشكاليّة دراسة اللغة أو الخطاب من اتجاه نصّي تداولي، بالتّركيز على تداوليّة الخطاب في ظل بنيته ووحدته النّصيّة المتكاملة. فلقد انصبت أغلب الدّراسات التّداوليّة على دراسة الجملة أو الملفوظات والمقاطع المنعزلة وتعاملت أغلب البحوث والتّطبيقات التّداوليّة –نظريا وتطبيقا–مع الجملة أكثر ممّا تعاملت مع النّص أو الخطاب، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدّراسة النّظريّة لتسهم في توسيع مجال البحث في التّداوليّة النّصيّة (البحث في ما فوق الجملة) والكشف عن مقاصد النّصوص بالبحث عن أبعادها التّلفظيّة الشّاملة، من خلال تعاملها مع الأفعال الكلاميّة الكبرى.

الكلمات مفتاحيّة: التّداوليّة؛ النّص؛ الحدث الكلاميّ؛ الفعل الكلاميّ الشّامل.

Abstract: This research pragmatically investigates the issue of language and discourse. Therefore, it focuses on the text as a whole. This research pragmatically investigates the issue of language and discourse. Therefore, it focuses on the text as a whole. A review of literature reveals that most pragmatic studies

[1]- جامعة مولود معمري، تيزي–وزّو؛ مخبر الممارسات اللغويّة lyndadamoute25@gmail.com / المؤلف المرسل

[2]- جامعة مولود معمري، تيزي–وزّو/hamoulhadj_d@yahoo.fr

have focused on the sentence, expression or phrase. In addition, they dealt theoretically and practically more with the sentence than with the text as a whole. Accordingly, the present theoretical study came to contribute to this area of knowledge, namely text pragmatics. The ultimate purpose is to show text intentionality by searching its general verbal dimension within its connectedness to general speech act.

Keywords : pragmatics ; text ; speech act ; general speech act

المقدّمة: ارتبطت التّداوليّة ارتباطا مباشرا بالتّواصل الإنساني، فهي علم حديث يتصل بالظاهرة اللسانيّة على مستوى التّواصل والتّخاطب، فلقد فتحت التّداوليّة بابا جديدا على الدّراسات اللغويّة المعاصرة والتّي نظرت إلى اللغة من زوايا وقضايا جديدة متعلّقة بقضايا التّواصل وقضايا الاستعمال، متجاوزة أسئلة البنيّة وأسئلة الدّلالة لتهتم بمقاصد المتكلّم والبحث في أغوار معاني الكلام، مع إيلاء الأهمّيّة الكبرى للأفعال الكلاميّة والتّي تعد أساس المنظور التّداولي والتّي تتحقق عبرها مقاصد المتكلّم في ظروف سياقيّة محددة.

يعد مبحث أفعال الكلام من أهمّ المباحث التّي اعتنت بها التّداوليّة وأولتها اهتماما فائقا، وإنّ أهمّ ما جاءت به نظريّة أفعال الكلام هو اعتبار أن اللغة لم يعد ينظر إليها على أساس أنّها مجرّد مضامين ودلالات وصفيّة أو خبريّة، بل أصبحت اللغة مرتبطة بتأديّة أفعال انجازيّة لتحقيق أغراض ومقاصد تواصليّة.

وبالحديث عن النّص باعتباره بنيّة ووحدة متكاملة ومتماسكة، فإنّها تتشكل من متواليّة أفعال الكلام تضفي إلى بناء الحدث الكلاميّ الذي يتأسس على فكرة الفعل الكلاميّ الشّامل، وهي الإشكاليّة التّي نحاول البحث عنها وتنطوي على التّساؤلات الآتيّة:

- ما مفهوم الحدث الكلاميّ النّصي؟ وماهي أهمّ مكوناته؟

- كيف يتجسّد الحدث الكلاميّ في النّصّ؟ وما علاقة الأفعال الكلاميّة الجزئيّة بالفعل الكلاميّ الشّامل؟
- ماهي أهمّ الخطوات للوصول للفعل الكلاميّ الشّامل؟
- ما علاقة البنيّة الدّلاليّة الكبرى بالفعل الكلاميّ الشّامل؟

1- وقفة عند نظريّة أفعال الكلام: شكلت نظريّة أفعال الكلام محورا هاما من محاور المنظور التّداولي، فلقد اهتم بها الباحثون اهتماما خاصا، فقد درسها فلاسفة التّحليل، ثمّ توسّع في تفريعها والتّعمّق فيها التّداوليون، حتى أصبحت شبكة من المفاهيم المترابطة في التّحليل التّداولي، ويعود الفضل في تعميق الفهم بالأفعال الكلاميّة إلى الفيلسوف الإنجليزي "أوستين" J. L .Austin في كتابه How to do things with words، وهو عبارة عن اثنتي عشرة محاضرة ألقاها سنة 1955م بجامعة "هارفرد" حول فلسفة وليام جيمس The william james lectures توخى منها وضع بعض أسس الفلسفة الإنجليزيّة موضع السؤال والتّشكيك، خاصة فيما يتعلّق بوظيفة اللغة[1]، فوظيفة اللغة تتجاوز الإخبار والوصف المسندين لها دائما.

أتى أوستين Austin بمفهوم جديد وهو الفعل الكلاميّ Acte de langage الذي يقوم على الجانب الإنجازي للغة، بعد أن سلّم الفلاسفة والمناطقة لأمد طويل بأننا نستعمل اللغة لوصف الواقع، لذلك تضلّ الجمل خاضعة لمعياري الصّدق والكذب، غير أنّ واقع الحال يظهر أنّ عددا كثيرا من الجمل لا تخضع لمعياري الصّدق والكذب، كما لا تتوخى وصف العالم بقدر ما تطمح لتغييره[2]، فجمل من هذا النّوع لا تخضع لمعيار الصّدق والكذب كما لا تصف حقيقة ما، وإنّما تنجز فعلا، وقد أطلق أستين على هذه الظاهرة ب"الإيهام الوصفي L'illusion descriptive / The descriptive fallacy" [3] ومن هنا ميّز أوستين بين نوعين من الملفوظات، الوصفيّة التّقريريّة، والملفوظات الإنجازيّة. والتّي تحقق فعلا يتجسّد في الواقع. والتّي قيّدها بمجموعة من الشّروط، يضفي الالتّزام بها إلى

تحقيق الغايات المرجوة من الفعل الإنجازي، كما قد يؤدي الإخلال بها إلى الإخفاق وعدم التّوفيق[4] وتحول دون وصول المتكلّم إلى المقصد المراد.

يقوم الفعل الكلاميّ على بنيّة تركيبيّة، يهدف فيها المتكلّم إلى إنجاز فعل قولي حقيقي، لتحقيق غايات تأثيريّة في المتلقي، تبعا لأغراض ومقاصد المتكلّم، ومن هنا يمكن تحديد الفعل الكلاميّ على أنّه:" كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي، دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسّل أفعالا قوليّة Actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازيّة Actes illocutoires) كالطّلب والأمر والوعد....) وغايات تأثيريّة[5]، فالفعل الكلاميّ هو كلّ ملفوظ يفضي التّلفظ به إلى إنجاز فعل في الواقع.

لم يكتف أوستين بهذا التّمييز فقط، وإنّما انتبه أيضا إلى أنّ الملفوظات الوصفيّة التّقريريّة ليست في واقع الأمر سوى ملفوظات إنجازيّة فعلها مضمر، ظاهرها وصفي، وباطنها إنجازي[6]، وكلّ هذا معناه أنّ أوستين بدأ مفهوم الفعل الكلاميّ بالتّفريق بين الملفوظات الوصفيّة التّقريريّة والملفوظات الإنجازيّة، لكنّه في الأخير عدل عن ذلك وعمّم مفهوم الإنجاز ليشمل جميع الملفوظات، "فقد توصّل في الأخير إلى نتيجة مفادها استحالة وجود ملفوظ يتجرّد من قيمته الإنجازيّة، فقد أقرّ في الأخير أنّ الخطاب الإنساني كلّه أفعال كلاميّة "[7]، ومعنى هذا أنّ حتى الجمل الخبريّة هي أفعال إنجازيّة لأنّ المتكلّم في هدف مستمرّ في التّأثير في غيره.

يؤكد أوستين أننا حين نتلفّظ بقول ما نقوم بثلاثة أفعال هي التّي تشكّل أقسام الفعل الخطابي[8]، وهذه الأقسام تتّضح كالآتي:

-**فعل الكلام التّلفظي (القولي):** ويراد به التّلفظ بقول ما، استنادا إلى جملة من القواعد الصّوتيّة والتّركيبيّة التّي تضبط استعمال اللغة[9]؛ وهنا سيكون الحديث عن الجانب اللغوي، والذي يتمثل في التّلفظ، وإنتاج أصوات مفهومة في تركيب صحيح.

-**الفعل الإنجازي:** وهو القيام بفعل ضمن قول شيء ما[10]؛ أي الفعل النّاتج عند قول شيء ما، وهو الذي يدخل في صميم الاجراء التّداولي.

-**الفعل التّأثيري:** وهو التّأثير الذي نحققه بواسطة قول شيء ما[11]؛ أي التّأثير الذي يحدثه فعل الإنجاز في المخاطب فيدفعه إلى التّغيير والتّصرّف لفعل شيء ما وهو صورة من صور تحقق نجاح الفعل الإنجازي. والفعل الإنجازي يتعلّق بالمرسل أما الفعل التّأثيري فإنّه يتعلّق بالمرسل إليه، لأنّه يتوجّه إليه، وقد لا تكتمل دائرة التّأثير فيه إلاّ عند حدوث رد فعل من المرسل إليه[12]؛ أيّ يتجسّد من خلال ردود أفعال المتلقي. وهذه الأنواع الثلاثة هي التّي تتظافر لتشكل الفعل الكلاميّ.

عموما نستنتج من هذه النّظريّة التّي تخصّ أفعال الكلام، التّي جاء بها أوستين أنّ مجموع الملفوظات التّي ينتجها المتكلّم لم تعد ينظر إليها على أساس إنّها مجرّد دلالات ومضامين لغويّة وصفيّة أو خبريّة مرهونة بمعيار الصّدق أو الكذب، وإنّما تعتبر إنجازات لغويّة تحقق أغراضا تواصليّة تدفع المخاطب نحو التّصرف والفعل وانطلاقا من هذا يمكننا القول بأنّ جهود أوستين كانت نقطة انطلاق لتأسيس نظريّة أفعال الكلام.

طوّر "سيرل" الكثير من المفاهيم التّي أتى بها أوستين، فلقد أعتُبِر الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل/J. Searl " رافدا آخر من روافد التّنظير لنظريّة أفعال الكلام واحتلّ موقع الصّدارة بين أتباع أوستين، فلقد أعاد تناول نظريته[13]، فقد كرّس جهوده لإعادة النّظر في نظريّة أفعال الكلام وقد أقرّ بأنّ نظريّة أفعال الكلام هي في الأصل نظريّة عمل وأثر[14].

اهتمّ سيرل بتحليل شروط نجاح الفعل الكلاميّ، فكان اهتمامه موجّها صوب فعل الإنجاز باعتبار إنّ البحث في قضايا فعل القول هو من اختصاص اللسانيات والبحث في فعل التّأثير يتعدى مجال التّداوليّة[15] وقد قاده التّركيز على فعل الإنجاز إلى التّمييز في كل ملفوظ بين الفعل القضوي والقوّة الإنجازيّة [16]، ومعنى ذلك أنّ الملفوظات التّي نتلفّظ بها تتضمن محتوى قضويا، وقوّة إنجازيّة ملازمة له.

اهتم سيرل كذلك باقتراح نمذجة عامة لأفعال الكلام، مهّدت الطريق له في إعادة النّظر في مكونات الفعل الكلاميّ، وذلك بإضافة الفعل القضوي لمكونات الفعل الكلاميّ المباشر[17]، وعلى هذا الأساس أضحى الفعل الكلاميّ المباشر يتألّف من أربعة مكونات هي: فعل القول والفعل القضوي والفعل الإنجازي والفعل التّأثيري، بدل ثلاثة عند أوستين.

ومن بين أهمّ الدّراسات التّي قام بها سيرل الخاصة بنظريّة أفعال الكلام تقسيم أفعال الكلام إلى مباشرة وغير مباشرة.

أفعال الكلام المباشرة: ويمثل في النّحو الوظيفي للفعل اللغوي المباشر بالقوة الإنجازيّة الحرفيّة[18] وتتمثل هذه الأفعال المباشرة في الأقوال التّي تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول فالقول هو العمل المرتبط بالسلوك الفعلي، أي المتكلم عندما يقول يفعل وينجز في نفس الوقت.

أفعال الكلام غير المباشرة: تمثل بالقوة الإنجازيّة المستلزمة، والتّي يشترك في معرفتها كل من المتكلم والمخاطب، وتخضع للمقام الذي تّم استعماله فيه، وتأخذ هذه القوة المستلزمة وضعا ثانويا بالنّظر إلى القوة الإنجازيّة الحرفيّة[19]، فالأفعال غير المباشرة هي تلك الأفعال الكلاميّة التّي لا يتطابق فيها معنى الجملة ومعنى القول وهي مرتبطة بالسياق. فلا يمكن فهم هذه الأقوال إلاّ بربطها بالمقام الذي أنجزت فيه.

لم يختلف "سيرل" كثيرا في تحليلاته في البحث في قضايا فعل الكلام عمّا جاء به أوستين، باستثناء إضافة المكوّن الرابع لمكوّنات الفعل الكلاميّ المباشر وهو الفعل القضوي، وهذا من جهة، والتّعمّق في دراسة الأفعال الكلاميّة غير المباشرة من جهة أخرى[20]، لكنّه استطاع بفضل تحليلاته التّي تدين بالفضل الكبير لمحاضرات أستاذه "أوستين" إعادة النّظر في نظريّة أفعال الكلام، وفعل الإنجاز بشكل خاص.

يعتبر الفعل الكلاميّ عموما أهمّ مباحث الدّرس التّداولي، والذي يرتبط بمفهومي الفعل والانجاز، كما إنّه يعد من بين أهمّ العناصر التّي تكشف عن مقاصد المتكلّم

وأغراضه التّواصليّة والمتعلّقة بالتّغيير واحداث الأثر، في ظل مسارات سياقيّة محددة.

والتّداوليّة أفعال الكلام دورها مهم في التّوجيه للدلالة على النّصوص والكشف عن مقاصدها وتأويلها، ولا ينصب الاهتمام في هذا الإطار فقط على الأفعال الكلاميّة الجزئيّة، بل كذلك مع أفعال كلاميّة مركبة ومقاطع كبرى، "فالاهتمام لا ينصب فقط على الملفوظات المنعزلة، ولا يمكن أن نقتصر على الاشتغال بواسطة الأفعال اللغويّة الأوليّة...وإنّما تتعامل التّداوليّة النّصيّة مع مقاطع طويلة ...والتّي تمكن من احداث قيمة تلفظيّة شاملة في مستوى عال. وهي الأفعال اللغويّة الكبرى..."[21]، والتّي تسهم في بناء مقاصد النّص من خلال فعل القراءة.

2- الحدث الكلاميّ النّصي: من المعروف أنّ النّص يشكل نسقا موحّدا أو بنيّة كليّة شاملة تضفي إلى مقصد محدد، بالتّالي يمكن اعتبار النّص فعلا كلاميا واحدا فالنّصّ يعتبر فعلا كلاميا جامعا، يفضي إلى مقصديّة محدّدة، فالنّص يمكن أن يوصف بكونه فعلا كلاميا موحّدا وشاملا،" ففان دايك" يري أنّه:" يجب النّظر إلى النّص بوصفه فعلا للسان أو بوصفه سلسلة من أفعال اللسان.... بل يمكن النّظر إلى النّص على أنّه فعل كلامي كبير من أفعال اللسان[22]، فباعتبار النّصّ يتألّف ويتشكّل من مجموعة من الجمل، فإنّها تجسّد متواليّة من أفعال الكلام، ويمكن أن تنتج فعلا كلاميا شاملا.

الحدث الكلاميّ هو مفهوم من المفاهيم القائمة على نظريّة أفعال الكلام، الذي ينطلق من الاتجاه النّصّي التّداولي الذي ينظر إلى النّص برمّته على أنّه بنيّة متكاملة تحقق التّفاعل بين المتكلّم والمستمع أو بين الكاتب والقارئ الذي يجتهد في تفكيك هذه البنيّة." فالحدث الكلاميّ نشاط يظهر في التّفاعلات الخطابيّة اللغويّة بطريقة تواضعيّة، تفضي إلى نتيجة ما، ويمكن أن يحتوي على فعل مركزي ولكن يمكن أيضا أن يحتوي (الحدث الكلاميّ) على منطوقات تقود إلى ردود أفعال متتابعة، تبني الفعل المركزي[23] ويوضّح كلّ هذا أنّ الحدث الكلاميّ في مختلف النّصوص يظهر

في سلسلة الأفعال الكلاميّة، التّي تنتج بدورها سلسلة من الأفعال الكلاميّة الجزئيّة، ويمكن لهذه السلسلة المتتابعة من الأفعال الكلاميّة أن تحتوي أو تشتمل على فعل مركزي واضح، كما يمكن أن تنتج هذه الأفعال الكلاميّة الجزئيّة بتوحّدها فعلا كلاميا واحدا يعرف بالفعل الكلاميّ الشّامل أو الكلي أو المركزي ويجتهد القارئ أو المستمع في استنتاجه واستنباطه، وبناء على هذا يقول الدّكتور "عمر بلخير" – وهنا في حديثه عن النّص الأدبي أو النّص الشّعري على وجه الخصوص: "القصيدة الشّعريّة فعل كلامي. وتتدرج ضمن هذا الفعل الكلاميّ الجامع أفعال جزئيّة تؤدي هي أيضا أغراضا ووظائف تخرج كلها في الغرض أو المقصد الأساس الذي وضعت من أجله القصيدة"[24] وهذا الأمر ليس بعيدا عن مختلف الخطابات والنّصوص، فالفعل الكلاميّ الكلّي أو الجامع يحتوي أو يشتمل على مجموعة من الأفعال الجزئيّة، وهذه الأفعال تخرج كلّها إلى بناء المقصد الكلي للنّصوص.

لقد أقرّ بعض الباحثين أن الوصول للفعل الكلاميّ المركزي يتحدد وفقا لطبيعة النّصوص، وهو أمر ليس من السهولة الوصول إليه "فالفعل الكلاميّ الإنجازي الشّامل أو الكلي أو الحدث الكلاميّ هو تأويل للنّص بوصفه فعلا كلاميا إنجازيا واحدا، وهو أمر ليس من السهولة الوصول إليه"[25]، خاصة بالحديث عن النّصوص الأدبيّة عموما والتّي تتضمن طاقات تضمينيّة كبرى والتّي تفتح مجال التّأويل، على عكس النّصوص والخطابات المباشرة و التّي تتضمن سلسلة من الأفعال الكلاميّة المباشرة، والتّي تفضي إلى فعل مركزي شامل مباشر، فأهمّ ما تتميّز به هذه الخطابات الوضوح في التّعبير عن مقاصد المتكلّم أو القارئ، ممّا يسمح للقارئ أو المستمع بتحديد الفعل الكلاميّ المركزي وتحديد الهدف من الخطاب مباشرة. وهذا باعتبار العلاقة التّي تربط بين الفعل الكلاميّ المحوري والبنيّة الدّلاليّة الكبرى للنص.

عموما يرى "فان دايك" في تحديده للتداوليّة الكبرى التّي تقوم على الحدث الكلاميّ النّصي على أنّها دراسة الفعل الكلاميّ المحوري لمتواليّة أفعال الكلام، وهذا كما اتّضح في قوله: " ونحن نفهم من التّداوليّة الكبرى، دراسة التّنظيم الشّامل للفعل المشترك

الإنجازي أي متواليّة أفعال الكلام، والسياق وعلاقتهما بالخطاب"[26] ومتواليّة أفعال الكلام المتنوّعة تكون لها وظيفة إجماليّة واحدة، وبالتّالي تحدّد البنيّة الشّاملة لأفعال الكلام.

وانطلاقا من كلّ هذا يتّضح أنّ الحديث عن الحدث الكلاميّ في النّصوص المتكاملة والمتّسقة أولى وأنسب من الحديث عن الأفعال الكلاميّة ، فلعلّ الحدث الكلاميّ هو الأقرب للتعبير عن مختلف النّصوص بوصفها حدثا خطابيا، فمن هنا يجب أن نتكلم عن الحدث الكلاميّ في النّصوص أكثر ما نتحدث عن الأفعال الكلاميّة ، والتّي تتناسب أكثر مع الملفوظات المستقلّة والمنعزلة، كما ينبغي على القارئ بذل جهد لاكتشاف الحدث الكلاميّ باعتباره عنصرا مهما للوصول إلى مقاصد النّصوص، وبهذا يكون الحدث الكلاميّ في حاجة لطاقة تفاعليّة بين المبدع من جهة والقارئ من جهة أخرى[27]، أمّا عن القوّة التّأثيريّة للحدث الكلاميّ، فتظهر عند المتلقي أو القارئ ومدى تأثّره و استيعابه لمجمل الأفكار والتّوجيهات والمعاني التّي تتضمنها مختلف النّصوص والخطابات، فظهور السامع أو القارئ الذي يبادر في قراءة النّص والبحث عن مختلف مقاصده ومختلف أفكاره التّي تحويها معناه نجاح جزء من الفعل الإنجازي فالعمل التّأثيري يستلزم وجود القارئ وانفعاله. هنا يتّضح بأنّ" القوّة الإنجازيّة للحدث الكلاميّ تحتجب إلى حين وجود قارئ يكفَل ظهور جزء من هذه القوّة...[28]، فقوّة الفعل الإنجازي، أو قوّة الحدث الكلاميّ مرهون بوصول وتحقيق الفهم من لدن القارئ وحمله إلى التّغيير والتّصرّف والعمل وهذا بمعنى أنّ القوّة الإنجازيّة تظهر في فهم القارئ أو المستمع وفي تصرّفه وعمله، ويحقق هذا كلّه نجاح الحدث الكلاميّ الإنجازي.

3-**مكوّنات الحدث الكلاميّ:** حينما نتكلّم عن الحدث الكلاميّ في مختلف النّصوص، فإننا سنتكلّم عن مجموعة من الأفعال الكلاميّة الجزئيّة، أو سلسلة الأفعال الكلاميّة الجزئيّة فيها وعلاقاتها فيما بينها، والتّي يمكن أن تحتوي على فعل مركزي والذي يتأسس الحدث الكلاميّ عليه، أو أنّها تتضافر في سبيل الوصول إلى الفعل

المركزي الشّامل، وكل هذه العلاقات ستكون من اكتشاف واجتهاد القارئ، الذي يقوم بربط هذه الأفعال باعتباره صانع هذا الحدث، ويتكوّن الحدث الكلاميّ في النّص أو الخطاب من ثلاثة أنواع من الفعل، والتّي قد ميّزها أوستين وتتمثل كالآتي:

1/3- الفعل القولي: (انتاج الأصوات، والإشارات الخطيّة، والوحدات التّركيبيّة...)[29]؛ أي كلّ العناصر اللسانيّة من أصوات ومعجم، وما يتعلّق باللرّوابط التّي تصل الوحدات النّصيّة، فالفعل القولي في النّصّ هو ما ينتجه المخاطب كنص يحتوي على سلسلة من جمل، ووحدات تركيبيّة.

2/3- الفعل الإنشائي/ الإنجازي: يتلازم مع القيمة التّلفظيّة ذاتها، وهو كذلك إنتاج ملفوظ حيث يعبّر عن نوع من القوة من خلال القول ذاته. وإنّ الفعل المرتبط بما هو منجز بقولنا ما نقول، لا يتحقق إلاّ إذا اعترف المتلقي بالقصد، الذي ينوي المتكلّم إيصاله وليس قصدا آخر[30]، يتكوّن هذا الفعل في النّصّ من سلسلة من الأفعال الإنجازيّة، التّي يمكن أن تحتوي على فعل إنجازي محوري، أو أنّها تبنيه أو تنتجه.

3/3-الفعل التّأثيري: (بمعنى خلق الآثار في وضعيّة معيّنة)، بالنّسبة "لمانقونو/Maingueneau" فإنّ الميدان التّأثيري خارج عن الإطار اللغوي المحض، بمعنى خلق ردّة فعل تقديريّة إزاء النّص ذاته، وكذلك من خلاله إزاء العالم[31]، وتأثير الكاتب أو المخاطب على جمهوره المستمع واستمالتّهم أو تقبلهم واعجابهم لمختلف أفكاره يشكّل صورا من صور الفعل التّأثيري.

4- أفعال الكلام الجزئيّة والفعل الكلاميّ الأساس: يتشكل النّص من مجموعة من أفعال كلاميّة جزئيّة والتّي ترتبط بعلاقة ترابط بين بعضها البعض، إذ يرى بعض الباحثين أن كلّ فعل كلامي تربطه علاقة ما مع الأفعال الكلاميّة الأخرى" فلكل فعل كلامي تربطه عرفيّة إلى حد ما على الأقل بالأفعال الكلاميّة الأخرى (السابقة واللاحقة) ...وبذلك يفضي كل فعل كلامي مفرد إلى تأسيس علاقات التّزام خاصة"[32] وتتظافر هذه الأفعال الجزئيّة لتبني وتؤسس الفعل الكلاميّ الشّامل، وهذا يتجسّد في أغلبيّة النّصوص، "فالبحث عن بنيّة كليّة شاملة لأفعال الكلام أمر حتمي

لأن متواليّة أفعال الكلام المتنوعة تكون لها وظيفة اجماليّة واحدة"[33] والذي يعبر عنها الفعل الكلاميّ الشّامل، ويمكننا توضيح ذلك في هذا المخطط كالآتي:

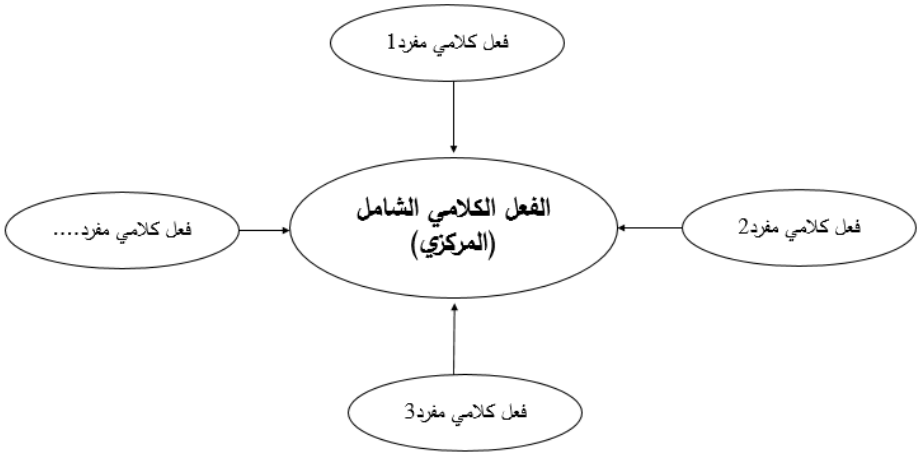

5- خطوات الوصول للفعل الكلاميّ الشّامل: إنّ النّص باعتباره بنيّة كلّيّة فإنه يحتوي على فعل كلامي إنجازي شامل؛ أي إنّه يُؤوّل بوصفه فعلا إنجازيا واحدا ولكن في الحقيقة هذا الأمر يعتريه الكثير من الصّعوبة والتّعقيد في بعض النّصوص فهو أمر ليس من السهولة الوصول إليه لذلك حاول باحثون في هذا المجال وضع مجموعة من الخطوات والقواعد المساعدة للوصول إلى الفعل الكلاميّ الكلي أو الشّامل في أعمال نصيّة واستنادهم على بعض الملحوظات والتّي يمكن ذكرها كالآتي:

1. اعتبار الفعل الكلاميّ الشّامل في بعض النّصوص يمثّل نفسه المقصد الرئيس للنّص وبالتّالي تكون مراحل الوصول للمقصد الأساس للنّص هي نفسها مراحل الوصول للفعل الكلاميّ الشّامل إذ يرى" "فان دايك" أنّ الضوابط الكبرى للوصول إلى البنيّة الدّلاليّة الكبرى يمكن أن تقوم بالدّور نفسه للوصول إلى الفعل الكلاميّ الكلي أو الشّامل" [34]، ومعنى هذا أنّ الخطوات التّي يتّبعها القارئ، أو

محلّل النّصّ للوصول إلى المقصد الرئيس للنصّ هي نفسها الخطوات التّي توصله إلى الفعل الكلاميّ الشّامل للنّص، وهذا باعتبار العلاقة التّي تربط بين الفعل الكلاميّ الشّامل بالمقصد الشّامل- كما أشرنا إليه سابقا- وتتلخص أهمّ هذه الخطوات في الضوابط الكبرى والتّي تمثل استراتيجيّة اجماليّة، والتّي تتمثل في تقسيم الأفعال الكلاميّة إلى أفعال تمهيديّة، فعل كلامي مركّب، فعل كلامي مساعد....أفعال ضروريّة الوجوب..... ؛ أي بالحذف، الاختيار، التّركيب التّعميم...للوصول للفعل الكلاميّ المركزي.

2. يلحظ في بعض النّصوص، وخصوصا النّص الشّفاهي، أنّه يمكن إدراج بعض الأفعال الماوراء لغويّة، أو تعبيرات الوجه و حركة الجسم في تحليل أفعال الإنجاز الكلاميّة، إذا وردت في أثناء نصّ لغوي شفاهي، كالابتسام مثلا، إذ قد يُعد الابتسام دليلا ليس على فعل كلامي عادي، بل على فعل الكلام الإنجازي الشّامل أو الكلي[35]، لكنّ في الحقيقة هذه العلامات السيميائيّة ليست حكرا على النّصوص الشّفاهيّة فقط، فكثيرا ما يعمد الكاتب في نصّه إدراج مثل هذه العلامات في نصّه ليصف بها حالتّه أو شخصيّة من الشّخصيات ، فمن أجل هذا يمكن أن نأخذ هذه الملحوظة بعين الاعتبار في النّصوص.

3. حقيقة الأمر أنّ اكتشاف الفعل الكلاميّ الشّامل أو الكلي للنّص- في بعض النّصوص- لا يمكن أن يتمّ بواسطة الضوابط الكبرى فقط؛ أي بالحذف والاختيار والتّعميم، والتّركيب، مثل ما ذهب إليه "فان دايك" حين صرّح بأنّه لا يملك في هذا الموضوع إلاّ استراتيجيّة إجماليّة [36]، كما إنّه لا يمكن الوصول إلى الفعل الشّامل بواسطة إيجاد تصنيف لأنواع الأفعال الكلاميّة الإنجازيّة الموجودة في النّص، أو حتى التّسليم بالعلاقة العرفيّة بين الأفعال الإنجازيّة في منظومة ما،...لأنّ ربّما كان في بعض النّصوص، النّص في واد، وقصده في واد آخر[37]؛ وعلى هذا الأساس فقد اقترح الباحثون بعض القواعد المساعدة لقواعد "فان دايك" في الوصول الفعل الكلاميّ الانجازي الشّامل، وتتلخص هذه القواعد في:

– الاهتمام الأقصى بسياق الموقف، وبأبعاد العلاقة بين المتكلّم والمخاطب.

– الاستعانة بالضوابط الكبرى؛ أي الحذف، والاختيار، والتّركيب، والتّعميم التّعويض؛ حيث يمكن التّعويض عن عدّة أفعال بفعل واحد، وذلك للوصول إلى البنيات التّداوليّة الشّاملة.

– الاهتمام بتتبع الحيّز الموقعي الذي يشغله الفعل الكلاميّ الشّامل، بالنّظر إلى نوع النّص، وإلى قدرات منتج النّص الأسلوبيّة، وقد لوحظ في بعض النّصوص (التّعقيبات) أنّ الفعل الكلاميّ الذي يمكن جعله الفعل الكلاميّ الإنجازي الشّامل، يتموضع في الأكثر في آخر النّص أو في أوّله؛ وبذلك فإنّ نوع النّص له دور في تحديد موضع الفعل الكلاميّ الشّامل.

– الاهتمام بتصنيفات أنواع الفعل الإنجازي الكلاميّ المفرد السائدة في النّص المعين لوضعها في تواتر نسبي مع أنواع الأفعال الإنجازيّة الأخرى[38].

كانت هذه الخطوات مجمل القواعد – القواعد التّي توصّل إليها الباحثون باستغلال قواعد" فان دايك"–المساعدة في الوصول إلى الفعل الكلاميّ الشّامل، فعلى القارئ الإحاطة بسياق التّداولي للنّص، ودراسة وتحليل مختلف الأفعال الجزئيّة التّي يشتملها، وتحليل أغراضها، وعلاقتها بموضوع الحوار وبموضوع النّص واعتبار هذه الأغراض بمثابة جزء من الحدث الكلاميّ، واستنتاج البنيات التّداوليّة الكبرى التّي ترتبط بالفعل الكلاميّ الشّامل أو الكلي، ومن هنا يبدأ القارئ بصناعة الحدث الكلاميّ، باستغلال قدراته التّأويليّة.

ويمكن وضع التّرسيمة التّاليّة للوصول إلى الفعل الكمي الشّامل وصولا تنازليا في الشّكل التّالي:

❖ مخطط يوضّح خطوات الوصول إلى فعل الكلام الشّامل [39]

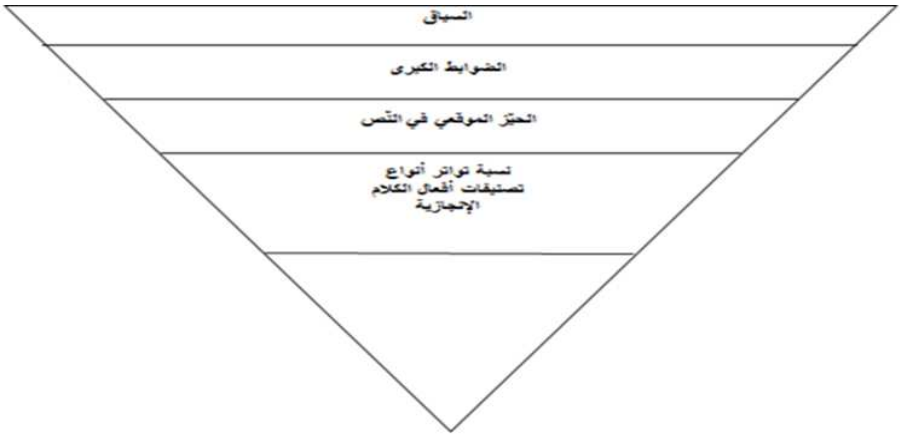

فعل الكلام الإنجازي الشامل

6- علاقة الفعل الإنجازي الشّامل بالمقصد الشّامل: من خلال حديثنا عن الحدث الكلاميّ اتّضح أنّ الفعل الكلاميّ الكامل أو الكلي تربطه علاقة كبيرة بالبنيّة الدّلاليّة الكبرى أو المقصد الشّامل للنصّ أو الخطاب ، وأحيانا يؤخذ في الاعتبار بأنّهما نفسهما، بالتّالي يكون المقصد الكلي نفسه الفعل الإنجازي الكامل، وهذا ما أكّده "فان دايك" بقوله: إنّ معنى الخطاب يرتبط ارتباطا وثيقا بفعل الكلام" [40] وهناك من الباحثين من يؤكّدون على هذا الأمر فيرون" أنّ الفعل الكلاميّ الكلي أو الشّامل يمثّل المقصد الرّئيس للمتكلّم في نصّه، وقد لا يكون اكتشاف هذا المقصد من السهولة بمكان في بعض النّصوص التّي تحوي في ما وراء النّص مقاصد خفيّة أو إضافيّة، وهذا بمعنى إنّه يمكن أن يأخذ المقصد مجرى آخر غير ما هو موجود في النّص، وخاصة إذا تعلق الأمر بالنّصوص والأعمال الأدبيّة و التّي تتجاوز الملفوظ ذاته، وترتكز على مواصفات مضمرة خاصة "[41] وعليه فإنّ علاقة النّص

وقصده وارتباطه بالفعل الكلاميّ الشّامل ليست حتميّة في جميع السياقات، أو في جميع النّصوص، ولهذا فإنّ الفعل الكلاميّ الشّامل هو الذي يؤثّر في تحديد المقصد الكلّي في النّص" فالفعل الكلاميّ الإنجازي هو العامل المؤثر في تحديد البنيّة الدّلاليّة الكبرى للنّص، ولا يمكن أن نتصوّر عكس ذلك، كما قد يؤثر في البنيّة النّحويّة والمعجميّة، وأدوات الرّبط، فما يوجد في نصوص حجاجيّة فعلها الشّامل(أقنعك بكذا) يُلزم منه أن يكثر فيها بنى نحويّة، ورابطيّة، ومعجميّة خاصة"[42]، ومن هنا يتّضح أنّ تحديد البنيّة الدّلاليّة الكبرى للنّص تتوقّف على تحديد الفعل الإنجازي الشّامل، ومن هنا نستنتج بأنّ علاقة الفعل الكلاميّ الشّامل بالمقصد الشّامل هي علاقة تأثيريّة.

الخاتمة: تعتبر الأفعال الكلاميّة النّواة الأساسيّة للتداوليّة، ويعد الفعل الانجازي المحور الأساس الذي تتمحور حوله نظريّة أفعال الكلام، ولتداوليّة أفعال الكلام في النّص سيمات ومميزات خاصة، ترتبط بخصائص النّصوص التّي لا تشتمل على أبنيّة جزئيّة معزولة، بل أبنيّة أحداث مركبة، وبتالي أفعال كلاميّة كبرى، ولقد أمكننا هذا البحث من تسجيل جملة من الملحوظات يمكن إيجازها فيما يأتي:

- النّظر إلى النّص على أنّه متواليّة من أفعال الكلام مثلما ينظر على أنّه متواليّة من الجمل.
- اعتبار النّصّ مجموعة من أفعال كلاميّة مفردة والتّي ترتبط ببعضها بعلاقات ارتباط والتّزام.
- اعتبار النّصوص أحداثا كلاميّة، يتأسس من خلالها الفعل الكلاميّ المحوري.
- ارتباط الأفعال الكلاميّة الجزئيّة بالفعل الكلاميّ الشّامل بعلاقات بناء خاصة.
- ارتباط الفعل الكلاميّ المحوري بالمقصد الرئيس للنص بعلاقة تأثيريّة.

الهوامش:

[1]–جواد ختام، **التّداوليّة أصولها واتجاهاتها**، عمان: 2016، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع. ص86

[2]– المرجع نفسه، ص87

[3]– المرجع نفسه، ص87

[4]– المرجع نفسه، ص87

[5]– مسعود صحراوي، **التّداوليّة عند العلماء العرب "دراسة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللساني العربي**، لبنان(بيروت): 2005، دار الطليعة للنّشر، ص 48

[6]– جواد ختام، **التّداوليّة أصولها واتجاهاتها**، ص87

[7]– عمر بلخير، "التّداوليّة والشعر"، **مقالات في التّداوليّة والخطاب**، تيزي– وزّو: 2013، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، ص221

[8]– جاك موشلر؛ آن ريبول، **القاموس الموسوعي للتداوليّة**، تر: مجموعة من الأساتذة، تونس: 2000، مركز التّرجمة (دار سيناترا)، ص58

[9]– جواد ختام، **التّداوليّة أصولها واتجاهاتها**، ص90

[10]– مسعود صحراوي، **التّداوليّة عند العلماء العرب "دراسة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللساني العربي**، ص 42

[11]– جاك موشلر؛ آن ريبول، **القاموس الموسوعي للتداوليّة**، ص58

[12]– **عبد الهادي بن ظافر الشهري**، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، ط1، لبنان: 2004، دار الكتاب الجديد، ص75

[13]– جاك موشلر؛ آن ريبول، **االتّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل**، تر: سيف الدّين دغفوس لبنان: 2002، دار الطليعة للنّشر والتّوزيع، ص33

[14]– جواد ختام، **التّداوليّة أصولها واتجاهاتها**، ص95

[15]– المرجع نفسه، ص91

[16]– المرجع نفسه، ص91

[17]– المرجع نفسه، ص91

[18]– يوسف تغزاوي، **الوظائف التّداوليّة واستراتيجيات التّواصل اللغوي في نظريّة النّحو الوظيفي**، ط1، الأردن: 2014، عالم الكتب الحديث، 125

[19]– يوسف تغزاوي، **الوظائف التّداوليّة واستراتيجيات التّواصل اللغوي في نظريّة النّحو الوظيفي**، ص152

[20]– جواد ختام، **التّداوليّة أصولها واتجاهاتها، ص94**

[21]– كاهنة دحمون، **تداوليّة الخطاب السردي بين القديم والحديث** [أطروحة مقدّمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب]، تيزي وزو: 2014، جامعة مولود معمري، ص181.

[22]– جمعان بن عبد الكريم، **من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النّقدي (مناهج ونظريات) ط1**، عمان: 2016، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، ص 80

[23]– شيتر رحيمة، **تداوليّة النّص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا** [أطروحة مقدّمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب] 2009، باتنة: جامعة الحاج لخضر، ص158

[24]– عمر بلخير، "التّداوليّة والشعر"، **مقالات في التّداوليّة والخطاب**، ص230

[25]– جمعان بن عبد الكريم، **من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النّقدي (مناهج ونظريات) ص 88**

[26]– المرجع نفسه، ص 83

[27]– شيتر رحيمة، **تداوليّة النّص الشعري**، ص 158

[28]– المرجع نفسه، ص158

[29]– **ذهبيّة حمو الحاج**، قضايا التّداوليّة والخطاب، ط1، الأردن: **2016**، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، ص100.

[30]– المرجع نفسه، ص100.

[31]– المرجع نفسه، ص100.

[32]– جمعان بن عبد الكريم، **من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النّقدي (مناهج ونظريات)**، ص 84.

[33]– المرجع نفسه، ص84

[34]– المرجع نفسه، ص85

[35]– المرجع نفسه، ص 84

[36]– المرجع نفسه، ص85

[37]– المرجع نفسه، ص85

[38]– المرجع نفسه، ص89

[39]– المرجع نفسه، ص 86

[40]– المرجع نفسه، ص86

[41]– شيتر رحيمة، **تداوليّة النّص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا** [أطروحة مقدّمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب] 2009، باتنة: جامعة الحاج لخضر، ص158

[42]– جمعان بن عبد الكريم، **من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النّقدي (مناهج ونظريات)** ص 84.